

والمطاردة والاضطهاد ، ما لم نهد في البشر إطاقته والصبر عليه ؛
وحوصر في الشعب ثلاث سنين بلا أمل أو نصير ؛ وقاسى من
الحزن أقسى ما يخطر على البال ؛ ومع ذلك لم يلق ولم يضعف ، ولم يكذب
يخرج من هذا الشعب حتى مضى وحده وعفرده إلى الطائف يدعو
إلى ترك الأوثان وإلى عبادة الواحد الأحد ، فلم يقابل بغير الإهانة
والزراية من الكبراء ، والرعى بالحجارة من الصبية والجهال ، حتى
سال منه الدم فقاد إلى مكة لا يائساً بل مواصلاً بث دعوته ونبليغ
رسالته ، وظل صابراً مواظباً محتملاً ما يلقي في سبيل الله من الأذى
البليغ والعنت الشديد ثلاثة عشر عاماً من يوم تلقى الوحي . ولما
اعتزم الهجرة بعد أن مهد لها لم يخرج إلا بعد أن رحل عن مكة
معظم أنصاره وأمن واطمان عليهم ، ووثق بنجاتهم وسلامتهم ،
وهذا ثبات كان خليقاً وحده أن يقنع الذين كتبوا عنه من
الأجانب بأنه لا يمكن ولا يعقل أن يكون من « دجال » كما
وصفه بعضهم

وقد كتب « واشنطون إرفنج » عن بواعث محمد يقول :
« أكانت الثروة ؟ لقد أفاده زواجه من خديجة النسي ، فظل
سنوات قبل الوحي لا يبدى رغبة في زيادة ثروته . أم كان يطلب
النازل للمحظوظة ؟ لقد كانت منزلته عالية في قومه ، وكان معروفاً
ينهم بالفضل والأمانة ، وكان من قريش ومن أكرم فرع فيها ،
وكانت سدانة الكعبة وما تقيده من العز والسلطان في أسرته
منذ أجيال ، وكان من حقه أن يتطلع إليها ، فلما قام بمحاول أن يهدم
الدين الذي نشأ عليه قومه اقتلع جذور هذه المزاي جيماً ، فقد
كانت ثروة أهله ومنزلتهم قائمتين على هذا الدين فهاجه وجر على
نفسه عداوة أهله وغضب مواطنيه وسخطهم جميعاً

وعضى إرفنج في قصصه فيسأل : هل كان هناك في بداية
سيرته النبوية ما يمتح الأمل أو يعوض هذه التضحيات ؟ ويرد
على ذلك فيقول : إن الأمر كان على التقيض ، فقد بدأ محاذراً
متوخياً الكتمان وظل سنوات غير موفق ؛ وعلى قدر توسمه
في بث دعوته ، وإذاعة رسالته ، كان يشتد ويكظم ما يلقي من
المت والسخرية والأذى والاضطهاد ، واضطر بعض أهله

بطولة محمد ﷺ

رسالة إبراهيم عبد القادر المارني



لا أهرق دموعاً
أحسب أن غيري
يعرف ما يشبه
— أو يقارب —
بطولة محمد صلى الله
عليه وسلم . ولست
أنسى أني مسلم
ولكني مسلم بالعقل
قبل أن أكون
مسلياً بالوراثة
والنشأة . ولست

أخشى أن أنهم بالتعصب لصاحب هذا الدين . على أني لا أعنى
بالبطولة الشجاعة في الحرب ، والجراة في الكر والفر ، والإقدام
على مقارعة أحلاس القتال ومنازلة الأعداء في حومات الوغى ،
فما كان صلى الله عليه وسلم يعنى بالاشتراك في القتال بسيف أو رمح ؛
وكان يشهد المارك ويصحب رجاله ولكنه لا ينزل إلى الحومة
بنفسه ولا يخوض المعمة مع أنصاره وإن كان يوجههم . وما كانت
مزيته أنه أطمع الناس برمح ، أو أسداهم ساعداً ، وإنما كان نبياً
وصاحب دعوة ، ورسولاً بدين ، ومعلماً ومرشداً وهادياً ، وحسب
من شاء أن يقدر بطولة محمد أن يتأمل حياته وسيرته لا في مكة
وحدها بل بعد الهجرة منها إلى المدينة أيضاً وإلى آخر حياته ، فقد
جاء بدين ينقض كل ما قامت عليه حياة العرب في زمانه من عقائد
وقاليد وعادات وآراء ؛ ولا يرضى حتى أهله ، لأنه يحرمهم من أياهم
وما كانوا يتمتعون به من عزرة في الجاهلية ؛ ولم يجد من يؤمن به
وبرسالته إلا قلة لا فناء لها ، ولقي من الضيم والمذاب والأذى

أجمعين لم يكونوا شيئاً . وما قيمة قوم اتصموا قبائل متعادية لا أثر لها في الحياة ، ولا يميأ بها حتى من يجاورها من الأمم ؟ ومن هذه العناصر خلق محمد أمة عظيمة فتحت الدنيا ، ونشرت الدين ، وأهدت إلى العالم حضارة كبيرة غيرت مجرى التاريخ الإنساني كله

ولا يتسع المقام للافاضة في هذه المعاني ، ومن أجل هذا أكتفى بأن أقول إن محمداً أعظم عظيم خلقه الله . وأزيد على هذا أنني كنت في صدر حياتي أستعجب قول من يقول إن العرب خير الأمم وأفضلها ، وأرى ذلك من الغرور ، ولكني الآن صرت أعند من يقول هذا . ولست متغري بالمفاصلة بين الأمم ولا أنا أرى داعياً لهذا ، فإن كل أمة تؤدي في الحياة رسالتها على قدر طاقتها ، ولكن أمة تنجب محمداً ، هل يلام من يقول إنها أعظم الأمم ؟
إبراهيم عبد القادر المازني

وأنصاه أن يفروا إلى بلاد أخرى ، واحتاج هو نفسه آخر الأمر أن يهاجر إلى بلد غير مكة ، فلماذا كان يصبر كل هذه السنوات الطويلات على «دجل» يسلبه كل متاع الدنيا في سن لا تسمع بأن يبدأ المرء حياته مرة أخرى ؟ فاقام بالدعوة إلا بعد الأربعين وقضى في مكة ثلاثة عشر عاماً ، وكان تاجراً حسن الحال فهاجر منها فقيراً معدماً ، لا يعرف ما كتب الله له في غيبه من النصر ، ولا يبنى أكثر من أن يبنى مسجداً يعبد فيه ربه ، ولا يرجو إلا أن يعبد الله في سلام . ولما جاءه النصر لم يتكبر ، ولم يتجبر ، ولم يتغر ، كما يفعل الذين ينشدون المآرب الشخصية والغايات الخاصة ، لحافظ ، وهو في أوج قوته ، على بساطته أيام ضعفه

وقد جاءه نصر الله بعد الهجرة ، ولكن الأيام لم تجر كلها بالسعود في المدينة ؛ وإذا كان قد انتصر كثيراً فقد انهزم أحياناً ، فلا النصر أبطره ، ولا الهزيمة أضعفت روحه أو فتت في عضده .

ولعل القدرة على احتمال النصر أدل على العظمة من القدرة على احتمال الخيبة ؛ ولكنه لم يكن من الهين على من احتمال مثله ثلاثة عشر عاماً من التاعب أن يصبر على هزيمة جديدة ...

وكان عليه أن يضع للجماعة الإسلامية في المدينة النواويس والنظم في السلم والحرب . وهو فيما أعلم الوعيد الذي بلغ الرسالة كلها ، وأتم عمله أجمعه في حياته ، فأكل الدين ، وأسس الدولة ، ووضع القواعد كلها ، ووجه الأمة الجديدة الوجهة التي فيها الخير والصالح والعز . وليس لهذا مثيل في التاريخ — قبحه وحديثه — . وهنا ينبغي أن نذكر أن مسافة الزمن التي

تم فيها كل هذا كانت قصيرة جداً ، وأن دينه كان جديداً ، يخالف كل ما وجد عليه العرب . وفي هذه المدة الوجيزة لم يتغير

للعرب عباداتهم وحدها ، بل غير نفوسهم أيضاً . ولا شك أن صرف امرئ عن عبادة حجر أو نحوه أهون جداً من صب

النفس في قالب جديد . وقد خلق من هؤلاء العرب المتنافرين المتعادين التهاككين رجالاً يمدون في طليعة أبطال العالم . ولماذا

كان هؤلاء جميعاً خليقين أن يكونوا لولا محمد ؟ ونعني بهم أبطال التاريخ الإسلامي من مثل الخلفاء والولاة والقواد والفقهاء ...

أكان أحد يمكن أن يسمع بهم ؟ لا أظن ! ولا شك أنهم كانوا خلقاً أن يكونوا شيئاً مذكوراً بين قومهم ، ولكن قومهم

مجلة الفكرة العربية والثقافة الإسلامية



محررها كتاب مخلصونه لفكرتهم

تصدر أول كل شهر عربي حافلة بالموضوعات الجديدة ، والأبحاث الحية ، متميزة بطابعها الخاص ، من الصلوق والعمق والإيجاز .

الاشتراك السنوي في مصر والسودان والأقطار العربية ٢٠ قرشاً .
وللملح الاثري والطالب ١٥ قرشاً .

للكاتبات وطلب الأعداد بعنوان :

الأنصار : ٢٤ شارع البستان . القاهرة

حكمت محكمة للصورة العسكرية في القضية رقم ٩ سنة ١٩٤٢ بحسب
عبد المطلب ناصر من كفر عوض شهر بالشل والنشر على نفقته ليه
بترولا يسر يزيد عن التحيرة .